المقدمة

سورة التوبة من أواخر السور القرآنية التي نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم، في السنة التاسعة من الهجرة، وهي السنة التي خرج فيها عليه السلام لغزوة تبوك، ومن أهداف هذه السورة العظيمة التي سماها بعض الصحابة: (الفاضحة والمقشقشة والمدمدمة ...) أنها تحدثت عن المثاقلين، والمتخلفين، والمثبطين، وكشفت الغطاء عن **فتن المنافقين** (الطابور الخامس)، المندس بين صفوف المسلمين، وفضحت أساليب نفاقهم، وألوان فتنتهم وتخاذلهم للمؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * ﴾ ولم يكد النبي صلى الله عليه وسلم يتلقى الوحي بعد عودته من تبوك حتى قال لأصحابه : (انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وحرقوه)، فهدموه ، وكفى الله الإسلام والمسلمين شر المنافقين، وكيدهم في عهده عليه السلام.

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم واجتماع أمر المسلمين على **خلافة أبي بكر الصديق** رضي الله عنه تحركت شرارة **المنافقين** المندسين بين الصفوف مرة ثانية؛ حيث أججوا نار الفتنة وغذوا لهيب التمرد على الدولة الإسلامية بمنع الزكاة، والرِّدَّة عن الإسلام، وتشجيع اقتفاء الأفاكين من مدعي النبوة في أواخر عهد النبي ومستهل خلافة الصديق. لكن أبا بكر الصديق بقوة إيمانه، وثبات أركانه، وشدة حزمه، استطاع دحر هؤلاء المرتدين وإجبارهم على الخضوع لسلطان الشريعة الإسلامية. قال ابن كثير: " ثم شرع في تجهيز الجيوش الإسلامية إلى الروم عبدة الصلبان، وإلى الفرس عبدة النيران، ففتح الله ببركة سفارته البلاد، وأرغم أنف كسرى وقيصر ومن أطاعهما من العباد. وأنفق كنوزهما في سبيل الله، كما أخبر بذلك رسول الله، وكان تمام الأمر على يدي وصيه من بعده، وولي عهده **الفاروق** الأواب، شهيد المحراب، أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأرغم الله به أنوف الكفرة الملحدين، وقمع الطغاة والمنافقين واستولى على الممالك شرقاً وغرباً. وحملت إليه خزائن الأموال من سائر الأقاليم بعداً وقرباً. ففرقها على الوجه الشرعي. والسبيل المرضي. ثم لما مات شهيداً وقد عاش حميداً. أجمع الصحابة من المهاجرين والأنصار على خلافة أمير المؤمنين **عثمان بن عفان** رضي الله عنه شهيد الدار. فكسى الإسلام بجلالة رئاسته حلة سابغة. وامتدت إلى سائر الأقاليم على رقاب العباد حجة الله البالغة. فظهر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها. وعلت كلمة الله وظهر دينه. وبلغت الأمة الحنيفية من أعداء الله غاية مآربها. وكلما علوا أمة انتقلوا إلى من بعدهم، ثم الذين يلونهم من العتاة الفجار ".

وبالرغم من هذا العدل، وحسن السياسة من قبل الخلفاء الثلاثة، تآمر المندسون بين الصفوف لخلق فتنة جديدة، جاءت هذه المرة بتلاقح فكري خبيث، جمع المنافقين باليهود حينما قام عبد الله بن سبأ بفتنته

الكبرى، التي آلت إلى استشهاد الخليفة **عثمان بن عفان** رضي الله عنه، حيث بدأت هذه الفتنة في آواخر خلافته رضي الله عنه بقدوم عبد الله بن سبأ، وكان يهودياً من أهل اليمن، أظهر الإسلام زمن عثمان، ثم تنقل بين بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، ثم أمر أتباعه في كل مصر من الأمصار بالطعن في ولاة عثمان والتظلم منهم وإظهار معائبهم، ثم الطعن في عثمان وتلمس المآخذ عليه، وأن ذلك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان نتيجة ذلك أن كثر الغوغاء، وهانت هيبة الولاة عند رعيتهم، وصادفت دعاوى ابن سبأ وأصحابه هوى في نفوس **المنافقين** المتربصين والمندسين بين الصفوف من أصحاب المطامع الدنيوية، فرأوا أن هذه الفتنة تحقق شيئاً من مطامعهم من فرقة الصف، أو كسب المال، أو نيل الرئاسة أو التعصب للقبيلة، حتى زحف الثوار نحو المدينة مستغلين الغطاء من قبل المنافقين، الذين سهلوا لهم سبل الوصول إلى بيت الخليفة، فتسور إليه بعضهم، **فقتله** وهو يقرأ القرآن رضي الله عنه وأرضاه. ثم حمل بعد ذلك ودفن في البقيع. ثم تولى الخليفة الرابع **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه بعد استشهاد الخليفة عثمان بن عفان في أول فتنة كبرى تشهدها الدولة الإسلامية. استلم علي بن أبي طالب الخلافة بمبايعته من قبل جمع من الصحابة، ليستلم بذلك دولة في حالة اضطراب شديد، اضطر فيها لنقل مركز الخلافة من المدينة المنورة إلى الكوفة، ورفض والي الشام **معاوية بن أبي سفيان** مبايعة علي بن أبي طالب تذرعاً بضرورة القصاص أولاً من قتلة الخليفة عثمان، مما أدى إلى فتنة بين المسلمين ومعارك بين الجانبين، وجد **المنافقون المندسون** بين الصفوف، وأتباع ابن سبأ ضالتهم في ازدياد الهوة بين صفوف المسلمين؛ لتفريق كلمتهم، وتمزيق شملهم، من خلال إضرام نار الفتنة بين الطرفين، عن طريق دس الدسائس والإشاعات، التي أحدثت **معركتي الجمل وصفين**، وما وقع فيهما من خسائر بين صفوف المسلمين.

وبعد اغتيال الخليفة علي بن أبي طالب على يد عبد الرحمن بن ملجم تمت البيعة لابنه **الحسن بن علي**، الذي قضى ما يقارب السبعة أشهر في الحكم، قبل أن يتنازل عن الخلافة لمعاوية، وهو تأكيد لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين" وقد وقع ما أخبر به المصطفى عليه السلام بتنازل الحسن عن المطالبة بالخلافة لمعاوية بن أبي سفيان، فاطفأ الله به نار الحرب بين الصحابة، وسموا ذلك العام عام الجماعة" فقامت الدولة الإسلامية الأموية على يد أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما – في وقت كان المسلمون أحوج ما يكونون فيه إلى وحدة الصف، وجمع الكلمة، فجمعهم الله على معاوية بعد تنازل الحسن في "عام الجماعة" عام ٤١ هـ/ ٦٦١ م.

ومنذ ذلك الحين والدولة الأموية تحمل على عاتقها نشر لواء الإسلام في أصقاع المعمورة، واتخذ معاوية من دمشق عاصمة للخلافة الإسلامية. وبذلك انتقلت الخلافة إلى بني أمية،وأرسى معاوية كيانها

كخلافة قوية، جذب مخالفيه على طاعته، وعمل على توحيد كلمة المسلمين. وتميز حكمه بالحكمة والعدل. ووصل إشعاع الحضارة الإسلامية من دمشق إلى أصقاع بعيدة من العالم، لتكون الدولة الأموية أكبر دولة إسلامية عرفها التاريخ، ثم توالى الخلفاء من بني أمية الحكم من بعده. قال الحافظ ابن كثير: "فكانت سوق الجهاد قائمة في بني أمية، ليس لهم شغل إلا ذلك، قد علت كلمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وبرها وبحرها، وقد أذلوا الكفر وأهله، وامتلأت قلوب المشركين من المسلمين رعباً، لا يتوجه المسلمون إلى قُطْرٍ من الأقطار إلا أخذوه، وكان في عساكرهم وجيوشهم في الغزو الصالحون والأولياء والعلماء من كبار التابعين، في كل جيش منهم شرذمة عظيمة، ينصر الله بهم دينه".

وباتساع الخلافة الأموية وضمها للعديد من البلاد في الشرق والغرب قدمت الخلافة الكثير من المعطيات للحضارة الإسلامية، حيث تم بناء مسجد قبة الصخرة والمصلى المرواني، والجامع الأموي بدمشق وحلب، وجامع القيروان بتونس وجوامع أخرى تم ذكرها في ثنايا هذا الأطلس، وتأسيس مجموعة كبيرة من المدن، واهتم الخلفاء بالحياة الاقتصادية لمختلف البلاد الإسلامية وبتعيين الولاة والحكام ومحاسبة المقصرين منهم، وفي أرجاء الخلافة المترامية الأطراف كما في العاصمة دمشق اهتموا بالصناعة والعلم والفقه والطب، وأنشئوا المشافي، وقدموا العلاج، وشجعوا العلماء، **ودوّنوا السنة النبوية** في عهد عمر بن عبد العزيز، وسكوا أول عملة إسلامية (الدينار الأموي)، وعربوا دواوين الدولة، وعمل الخلفاء الأمويون على جمع المسلمين والمساواة، والحكم بالعدل، واتخذوا من الكتاب والسنة مرجعاً في إدارة شؤون الخلافة، وساهم الأمويون في نشر الدين الإسلامي بشكل كبير في وسط آسيا، حينما وصلت قواتهم إلى كاشغر من أرض الصين، وبلاد خوارزم، وطرقوا أرض السند، وأنشئوا الصوائف والشواتي على الثغور الإسلامية بين المسلمين والبيزنطيين، وحاصرت جيوشهم عاصمة الإمبراطورية البيزنطية (القسطنطينية) مرات عدة، واستكملوا فتوحات الشمال الإفريقي (الأوسط والأقصى)، أي ما يسمى اليوم بالجزائر والمغرب، وأخذوا ينشرون الإسلام في ربوع إفريقيا، وبلغت فتوحاتهم شبه الجزيرة الإيبيرية (الأندلس)، ووصلوا إلى مشارف باريس، حيث موقعة بلاط الشهداء (بواتيه) سنة ١١٤ هـ، التي أوقفت زحف المسلمين نحو أوروبا .

أمام هذا الجهد العظيم الذي قامت به الدولة الأموية في سبيل نشر الإسلام لا يتم تسليط الضوء من قبل الأعداء والموتورين إلا على تلك الفترة الحالكة المظلمة التي وقع فيها بعض قادة بني أمية في أخطاء جسيمة هزت مشاعر المسلمين، مثل حادثة كربلاء سنة ٦١ هـ، وأحداث موقعة الحرّة و حريق الكعبة ..، مما انعكس سلباً على سمعة بعض الخلفاء الإيجابيين.

لقد أخذ **المنافقون والأفاكون الموتورون** فرصتهم في الطعن على بني أمية، والصاق التهم بهم، وتصوير مأساة الحسين بن علي رضي الله عنهما بصورة لا تليق بمسلم، فقد افتروا على بني أمية بأكثر من

ذلك، حينما أوّلوا تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ﴾ الإسراء:٦٠ بأنهم بنو أمّة!!! وزادوا في الافتراء، فوضعوا الأحاديث على النبي صلى الله عليه وسلم في ذمّ بني أميّة؟!! يقول الإمام ابن القيّم (ت: ٧٥١هـ) في «المنار المنيف» ص ١١٧ (وكلّ حديث في ذمّ بني أميّة فهو كذبٌ، وكلّ حديث في مَدْح المنصور والسفّاح فهو كذبٌ). ومعلوم أنّ من بني أميّة خيار هذه الأمة وأبطالها: كعثمان بن عفان، وخالد بن سعيد بن العاص أحد السابقين الأولين وكان خامس خمسة في الإسلام، وأخواه أبان وعمرو واستشهدوا ثلاثتهم يوم أجنادين رضي الله عنهم. ومنهم معاوية بن أبي سفيان خال المؤمنين، وأخوه يزيد بن أبي سفيان، ووالدهما أبو سفيان صخر بن حرب، وغيرهم رضي الله عنهم، ثم بعدهم ملوك الإسلام وأمراء المؤمنين...

أخي القارئ الكريم: إنها الحقيقة المرّة التي يجب أن نؤمن بها؛ إن للمنافقين وأعداء الدين دوراً كبيراً في زعزعة الصف وتفريق الكلمة، كما أسلفنا في الحديث عنهم، ولهم حاضر يتضح من خلال مساجد الضرار التي أخذت تنتشر هذه الأيام وتقوم على السباب واللعان والشتائم للصحابة بشكل عام وبني أميّة على وجه الخصوص، وهذا لم يكن خلق النبي صلى الله عليه وسلم فعن أنس رضي الله عنه قال: « لم يكنْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فاحِشاً ولا لَعّاناً ولا سَبّاباً، كان يقولُ عند المعتَبة: مالهُ تَرِبَ جبينُه» . رواه البخاري

لقد جاء هذا الأطلس في أربعة عشر فصلاً، جاء فصله الأول عن خلافة معاوية بن أبي سفيان، ثم بقية الخلفاء، لكن فصله الثالث تناول خلافة عبد الله بن الزبير، واختتم فصله (١٢) خلافة آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد، وجاء الفصلان الأخيران (١٣ - ١٤) عن أبرز الجوانب الحضارية في العصر الأموي، وعن حركة التعريب والإصلاح النقدي، ثم ألحقنا هذه الفصول بملاحق لثبت المصادر والمراجع، وفهرس للعناوين والفصول الخاصة بهذا الأطلس .

وأخيراً وليس آخراً، أسأل الله – تعالى – أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب: ﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ البقرة: ٢٨٦

سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث

الأحساء / المبرز

في ٥ / ٣ / ١٤٣٢ هـ

samimag13@gmail.com

جوال ٠٥٠٤٩٣٤٦٩٣